كتاب الجمان

في جملة ما دخل دار الكتب العربية بدمشق في العهد الاخير من المخطوطات كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان للمسعودي فقدت من اوله ورقة او ورقتان فلم يعرف اسم المختصر والنسخة كتبت سنة ١٠٦٦ والغالب ان ناسخها تركي بدليل تساهله في بعض الاحيان بالالف واللام اداة التعريف فيثبتها في غير مكانها وينزعها من محلها كما قال احد الاتراك يوماً لجماعه من اهل دمشق : يا هل شام ماذا تريدون من الحلب . قالوا نريد ان تعيد الالف واللام الى اسم مدينتنا . فيقول الناسخ «اليزيد» ليزيد و « حيرة » لمدينة « الحيرة » وفيه تحريف كثير لكن خطه جميل مشرق وقع الكتاب في ١٣٥ ورقة منصفة القطع مستطيلة في كل صفحة ٣١ سطراً في كل سطر ١٢ كلمة وقد سقطت منه بعد الكراس الاول ورقة او ورقتان ايضاً .

بدأ المؤلف بخلق العالم وفي الصفحة الاولى كلام منقول عن وهب بن منبه والمؤلف على ما يظهر مولع بالنقل عن وهب بن منبه وعن كعب الاحبار من القصاصين اللذين كانا يجيبان على كل سؤال سقياً ورعياً وفي اجوبتهما من الغرابة ما تهش له العامة ثم تكلم على الانبياء الى مبعث الرسول عليه السلام وتخلل ذلك كلام على عهد الجاهلية ولا سيما اصنامهم وعباداتهم وعاداتهم واستغرق الفصل الاول من كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان ٤٣ ورقة واستغرق الفصل الثاني وهو في سيرة الرسول وغزواته واخباره ٣٨ والفصل الثالث في اخبار الخلفاء الراشدين والسلاطين كان في ٥١ ورقة وفيه كلام على الخلفاء الراشدين وتاريخ الخلفاء الأمويين وتاريخ العباسيين حتى الخليفة المستعين سنة ٨٤٥

ثم تكلم على ملوك مصر وهم العبيديون الذين تسموا الفاطميين وعلى البربر في افريقية وعلى ملوك فارس ومراكش والاندلس وختم الكتاب بالعلامات التي تكون بين يدي الساعة الى انقراض الدنيا .

والغالب ان هذا المختصر مأخوذ من اخبار الزمان للمسعودي واختصره مختصره و يظن انه محمد الشطيبي المغربي من اهل القرن التاسع على ما ذكر ذلك صاحب تاريخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آداب اللغة العربية وقال انه توفي سنة ٨٧٢ ومنه نسخة في دار الكتب السلطانية بالقاهرة في ٤٣٤ صفحة الا انه قال انه تعرض لدولة الاكراد المماليك الى الملك الظاهر خوشقدم المتوفى سنة ٨٧٢ والنسخة التي بين ايدينا ليس فيها ذكر لهذه الدول الصغرى النورية والصلاحية والمماليك وغيرها

اما القول بان هذا المختصر هو من كتاب المسعودي مرآة الزمان الذي وقع في ثلاثين مجلداً فليس له ما يدعمه ولا ما يفنده لان لسان المسعودي يختلف في كتبه فلسانهُ في مروج الذهب (طبع باريز) غير لسانه في التنبيه والاشراف (طبع ليدن) ومعلوم ان المسعودي يحيل في كتبهُ كثيراً على كتابه اخبار الزمان ومن ابادهُ الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وفيما تلاه من الكتاب الاوسط وعلى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر وعلى كتابه فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف وعلى كتابه ذخائر العلوم وما جرى في سالف الدهور وعلى نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر وعلى كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الاعصار وغير ذلك .

وهاك نموذجات من هذا الكتاب : وبويع عثمان بن عفان رضي الله عنه في اول يوم من المحرم افتتاح سنة اربع وعشرين من الهجرة واسمه في الجاهلية والاسلام عثمان وينسب الى امية بن عبدشمس يقال له الاموي ويجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وكان يدعى في الاسلام بذي النورين وذلك انه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الى القبلتين وهاجر الهجرتين اولاً الى الحبشة ثم هاجر الى المدينة ولما ولي الخلافة لم يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً قط وانما كان يحفظه ويصرفه في سبيل الخير وكان يطعم الناس الطعام الطيب وهو صائم الدهر ولا يفطر الا على خبز الشعير والنحل في ماله (؟) حتى تعجب من ماله ؟ الى ان جهز جيش العسرة من ماله وحده الف حمل بسلاحها واقتابها وسبعمائة فرس انفق عليها عشرة آلاف دينار ارسل بها فصبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقلبها بيده ويدعو له بالبركة ثم اشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومه (؟) بخمسة وثلاثين الف دينار وسبلها في سبيل الله تعالى وافعال الخير التي اجراها الله على يديه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كثيرة لا تحصى . قال ابن قتيبة افتتح في ايامه الاسكندرية ونيسابور وسواحل الروم وفارس الاولى وفارس الاخيرة واصطخر الاخيرة وخوزستان وكرمان وسجستان والاساورة وافريقية وحصون قبرس وقابس وساحل الاردن ومرو ومواضع كثيرة لا تكاد تحصى عدتها . وفي ايامه كثرت الاموال بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الخيرات وجاءت لها الخراجات من سائر البلاد وغرمت الجزيات ومطر الناس في جميع البلاد الممتنع بزهرة الدنيا وركوب الخيل والنعم الكثيرة في سائر الاقاليم التي في الدنيا وكثر مال عثمان حتى كان له الف مملوك وهو يوصل الاقارب بالاموال الجزيلة ولم يخلط من اموال المسلمين واخماس الغنائم في ماله شيئاً قط وفيها ورخ له رضي الله عنه انه كانت له مائة وعشرون غزوة حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد النبوية الا بدراً وبيعة الرضوان فانه لم يحضرهما لعذر كان به

ثم ذكر غزواته وكيفية مقتله وما اشترطه المصريون عليه في عزل عبدالله بن ابي سرح وتولية محمد بن ابي بكر مما هو مشهور مأثور . وهاك نموذجاً ثانياً :

قال المسعودي وكان سبب التباغض بين بني امية وبين العباسيين ان الكميت الشاعر المعروف بالفرزدق مدح النزارية فافحش في مدحه ففخروا بذلك على اليمانية فنهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب وجعل يدور في بني هاشم ويقول: ياهاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن ذكركم ونحن قدركم حين صمت الناس عن تعظيمكم فالتفتت الناس كلها له والقوا عليه الذهب والفضة والحوائج الثمنة والمتاع حتى النساء القت حليها له ثم قال عبدالله للكميت: يا اباسهل هذا جيد المقل ونحن في دولة اعدائنا بني امية فاستعن بهذا على دهرك . قال والله ما اردت بمدحي الا الله ورسوله لأ اخذت شيئاً من الدنيا عليه فقال يا اباسهل هل لك ان تقول شيئاً لعل فتنة تقوم في اعدائنا قال نعم ثم ابتدأ بقصيدته التي في اولها يقول :

الا حييت عنا يا مدينا وهل يأس بقوم مسلمينا

وهي طويلة الى ان قال :

لنا قمر السماء وكل نجم تسير اليه ايدي المرشدينا

حمدت الله اذ سمى نزارا وسكنكم بمكة قاطنينا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبينا

في ذم اعدائهم جداً فقام دعبل الخزاعي لنقض هذه القصيدة وعارضها بمثلها بمدح اليمانيين ويعيب غيرهم بها فانشد عند ذلك يقول :

اسقني من ملاك يا ضعينا كفاك اليوم منا الاربعينا
الم تحزنك احداث الليالي بشيئين الذوائب والقرونا
فان يك ولد اسرائيل منكم وانتم بالاعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير العوالي مسخن مع القرود الخاسئينا

فكان هذا اول الشنآن بين النزارية واليمانية ومنها تحزب الناس بالمناقب وثارت بينهم في البدو والحضر الى ان قام ابن محمد الجعدي متعصباً لقومه فانحرف الناس للدعوة العباسية وتقلقل الامر الى انتقال الدولة من بني امية الى بني هاشم ولم يبق معهم الا من فر بنفسه مستخفياً فقيل لبعض شيوخهم ما الذي سلب عنكم الملك فقال اشتغالنا باللذات واتباع الشهوات وتركنا سياسة الملك فضيعناه فضيَّعنا .

هذان مثالان يستدل بهما على اسلوب المؤلف وربما كان المختصر قد اعتمد في نقله على كتاب اخبار الزمان ثم زاد اشياء كثيرة من ذلك ما نقله عن الاخبار لابي حامد الغزالي في ان هارون الرشيد لما ولي الخلافة زارته العلماء وهنئوه فاعطاهم الجوائز السنية وكان قبل الامارة يجالس العلماء ويظهر النسك واكثر جلوسه الى سفيان الثوري فلما ولي الخلافة جاؤا كلهم الا سفيان فكتب له هارون يستعطفه ويستدعيه فأجابه سفيان بلسان شديد جداً الى غير ذلك من الحقائق وما يناقضها . وكيف كان الحال فهذا المختصر على كثرة ما شحن به من الخرافات لا يخلو من فوائد خصوصاً في العهد الذي سبق الاسلام وتبعه فان فيه كلاماً على القبائل والعبادات الاصلية وان لم يكن من غير المعروف فهو مفيد في بابه على كل حال .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net